الدوافع الحربية في العصر الجاهلي والحاضر؛دراسة مقارنة في ضوء التعليمات الإسلامية

محمد زيد لكوي*

هناك دوافع كثيرة وبواعث عديدة ومتنوعة للحروب كالحمية الجاهلية، وإظهار الشجاعة، والرياء وحب الذكر وغيرها من البواعث والأسباب التي اجتاحت البشرية حروب طاحنة من جرائها منذ نشأتها إلى يومنا هذا.جعلت الناس يتصورون أن الحروب تشن ظلما وعدوانا لإراقة الدماء فحسب فنفروا حتى عن اسم الحرب.

غير أن الحر ب في السيرة النبوية جاءت نزيهة وبعيدة كل البعد عن هذه البواعث الدنيئة والدوافع العدوانية، فتميزت بباعث ديني أخلاقي هو الدافع الأصلي والحقيقي لها والذي يفتقر إليه البواعث الفرعية الأخرى، ألا وهو الرغبة في إعلاء كلمة الله وإزالة الشرك والكفر عن البشرية.

فنقدم أهداف الحرب واحد واحد موضوعا لنقارن بين العصور في الأهداف الحربية .

١– نهب الثروات و الموارد للآخرين:

الحرب كان لها مكانة مهنة الوطنى فى العرب . النقص فى الموارد الكسبيه ، ندرة الاحتياجات الحياة و بغياب الانضباط الجماعى أصبحت العادة من القتال قوى جدا فى العرب أنهم كانوا يعتمدون القتل و سفاح الدماء و السلب و النهب كما من صفاتهم ولكن من مفاخرهم . [1]

و كتب أيضا " الاشياء التى تحرضهم على هذه المهمة المروعة (الحرب) كانت احدها رغبة الغنيمة عندما كان احد من العرب عقد سلاحه كانت الرغبة الاولى التى كانت قادمة فى قلبه أن يكون له الكثير من الغنائم و الاماء و العبيد . المال الذى أخذ من التجارة أو العمل و الجهد كان مال رذيل رأيهم . و العزة الحقيقية كانت عندهم فى حصول المال '' الطيب '' الذى أحضر بعد النهب من ساحة المعركة .كان القبائل المختلفة يغيرون بعضهم على بعض ليلا و نهارا لكى ينهبوا الغنم و الجمل و الاماء و العبيد و المال و المتاع .... هذا النهب كان من اول اغراض الحرب لاهل العرب و كان عقلاء العرب يحسبون الحرب عبثا دون النتيجة ما نالوا فيها المال .كان يقول اكثم بن سيفى من كان رجل متمرس و فريد ان اهنأ الظفر كثرة الأسرى و خير الغنيمة المال . "[2]

هذا ما كان وصف الإنسان الجاهلي و الآن أقدم بعض الأمثلة من العصر الحاضر "المثقف" و الماضي القريب . و هي " فقد تم توجيه معظم استثمارات المستعمرين إلى اقتصادات المستعمرين الآخرين أو إلى أطراف خارجية، مثل الأرجنتين والولايات المتحدة . وقد فعل ذلك الزعماء البريطانيون والفرنسيون والألمان الذينتبنوا الإمبريالية، في المقام الأول، لأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية أو بالمكانة . فهم دزرائيلي، وديل كاسيه

* المحاضر بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة اوكارا، اوكارا، باكستان -

وبسمارك أن الاستعمار يعني استنزاف خزائن دولهم ."[3]

و نجد في هذا الموضوع أن " أصبحت كوريا و منذ أواخر القرن التاسع عشر موضعا للمنافسة الاستعمارية اليابانية– الصينية والروسية، حيث ضمت اليابان كوريا منذ العام ١٩١٠ بعد ان بزغت كقوة صناعية، و عملوا على استغلال المصادر الكورية، و اهمها الارز الذي كانت تصدر منة كميات كبيرة، فاستمرت السيطرة اليابانية عليها للفترة من ١٩١٠– ١٩٤٥ ."[4]

و كُتب أيضا"وأكد أن أحد أهداف الولايات المتحدة من غزو العراق كان السيطرة التامة عليه،واستخدام المخزون النفطي والموقع الاستراتيجي له في تمديد فترة القطب الواحد، إلا أن هذا لم يتحقق بعد مرور تسع سنوات .

وكانت الولايات المتحدة قد احتلت العراق في عام ٢٠٠٣ للإطاحة بالزعيم العراقي السابق صدام حسين، بحجة أنه ديكتاتور ولديه أسلحة نووية، وهو ما لم يثبت حتى الآن، وأكد أحد المهندسين الذي اعتمدت عليهم الإدارة الأمريكية السابقة، أن واشنطن ضخمت أكاذيبه بشأن برنامج العراق النووي."[5]

هل يُرى أي فرق بين عقلية البشر الجاهلي والإنسان في القرن العشرين و الواحد و العشرين الراهن . و لذالك قال الله عز و جل " وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ "(النساء ٤: ١٢٨)و قال العلي الكبير" وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا "(الإسراء ١٧: ١٠٠) و قال جل جلاله " وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ "(العاديات ١٠٠: ٨) . فإذا ينسى الإنسان ربه و حقيقته و عاقبته، يفكر للدنيا و ما فيها فقط ، و يحرص على غزارة ثروتها حتى يحارب لها على سواء و ان كان هو في العصر الجاهلي أو في القرن الواحد و العشرين . مصداقا لقول النبي الكريم ﷺ " لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ "[6]

الإسلام يشرع الجهاد فقط لإعلاء كلمة الله و ينفى لجميع صور الحرب لمصالح الدنيا . قيل للغنيمة "الأنفال" في القرآن يعني الزائد كما ورد في "تاج العروس" أن " قَالَ شَمِرٌ : أَنْفَلْتُ فُلانًا وَنَفَلْتُه : أَعْطَيْتُه نافِلَةً مِنَ المَعْرُوف. و قيل أيضا " النَّفل والنافلة :ما كان زيادةً على الأَصل".[7] فالمعنى أن الغنيمة ليست بهدف أساسي بل هي نفل و فضل ضمني مع الهدف الأساسي، الأعلاء لكلمة الله .

قد أبان الله عز وجل مكانة الإخلاص فى الجهاد فى آيات مستقلة ليميز بين جهاد أهل الإيمان ، وجهاد أهل الأوثان قائلاً " الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ"(النساء٤:٧٦) .

وقد أبان النبى ﷺ لأصحابه مكانة الإخلاص فى شعيرة الحرب والجهاد فى مواقف عدة من سيرته . فقد أخرج الإمام البخارى رحمه الله من حديث أبى موسى الأشعري أنه قال " قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ."[8]

فلم يعتبر النبي أن من قاتل للمال والمغنم أو قاتل ليذكر من الجهاد في سبيل الله ، فلكل عمل نية ، وهذا الأعرابي يسأل عمن لم يقصد بنيته إعلاء راية التوحيد ، بل جل ما طلبه الذكر والمال ، فوافقت نيته نية أهل الجاهلية ، فأنى يكون له الأجر .

فالفرق بيّن بين العصور في ضوء هؤلاء الأمثلة في الغرض " الجشع على نهب الموارد للأقوام و البلدان الأخرى" . و كيف هناك التماثل بين العصر الجاهلي و الحاضر و كيف الإسلام منفرد حسب تعليماته في هذا الدافع الحربي .

٢- الرغبةُ في السيطرة والسيادة:

في العصر الجاهلي بعض القبائل كانت ترى الحرب أمراً طبيعياً لتسود، وتسيطر، وتستأثر بالرئاسة والسؤد، كالحرب التي دارت في يثرب بين الأوس والخزرج، وكالحرب التي دارت بين بني يربوع من تميم والمناذرة، بسبب رغبة المناذرة في تحويل الردافة عنهم، وعرف هذا اليوم بيوم طِخفة.

ويتجلى هذا السبب فيما روى من ان المنذر بن السماء ملك الحيرة ارسل الى قبيلة بكر يدعوهم الى طاعته،فابوا عليه ذلك، فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم ليذبحنهم على قلة جبل اوارة،حتى يبلغ الدم الحضيض،وسار اليهم في جموعه،فالتقوا باوارة، فاقتتلوا قتالا شديدا . وانهزمت بكر واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة،فامر بهم فذبحوا على جبل اوارة،فجعل الدم يجمد . فقيل له ابيت اللعن!لو ذبحت كل بكرى على الارض لم تبلغ دمائهم الحضيض،ولكن لو صببت عليه الماء،ففعل فسال الدم الى الحضيض .

و كذلك ما جاء في سيرة ابن هشام عن حيين من احياء العرب، خرجا من اليمن، ونزلا مكة فكان حى باعلى مكة يراسهم مضاض بن عمرو و حى باسفل مكة يراسهم السميدع وكان كل منهما يعشر من يدخل مكة من جهته ، اى يفرض ضريبة العشر على اموال من يدخل مكة من التجار . ثم حدث بينهما تنافس على الملك وصراع على السلطة، وجرى بينهما قتال شديد .[9]

وأما في العصر الحاضر هذا هو السبب الأساسي الذي إشتعل الحرب العالمية الأولى لأن بدأت الصراعات والنزاعات حين ضمت النمسا إقليم البوسنة والهرسك عام ١٩٠٨ميلادي والذي أثر على علاقة النمسا بصربيا التي تتحجج بوجود صرب داخل البوسنة والهرسك،ووصلت المشاكل ذروتها حين سمعت صربيا عن نوايا النمسا بضم إقليم البلقان كاملاً بما فيه صربيا نفسها تدخلت كل الأطراف الأوروبية في المشكلة كروسيا وفرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية التي تراجع سيادتها بعد ضعفها واصبح هنالك تكتلين الاول هودول الاتفاق الثلاثي بقيادة بريطانيا ويضم روسيا وفرنسا والثاني دول الحلف الثلاثي بقيادة النمسا ويضم ألمانيا وإيطاليا.

هذه الحقيقة بينة من تقرير خاص للرئيس دوايت ايزنهاور بتاريخ ٣٠ سبتمبر١٩٥٤،١٨ التركيز على التهديدات التي قدمها قدرات السوفيتية، والإجراءات، والنوايا، وخلص التقرير أن الولايات المتحدة تواجه ' عدوا عنيدا الذي له الهدف المعلن هو السيطرة على العالم بأي وسيلة كانت ومهما كان التكلفة '. [10]

و قال المصنف " هاري فان دير ليندن " في مقالته " Just War Theory and U.S. Military Hegemony" فيكتب "القوة العسكرية للولايات المتحدة لا مثيل لها ولها القيادة السياسية تلتزم في الحفاظ على هذا وضع السيادة أو الهيمنة من الجيش."[11]

السيطرة و السلطة أيضا من أهم الأهداف خلف الجهاد الإسلامي . ولكن ليس هي السيطرة الفردية أو الشعبية أو الوطنية و النسلية بل هي إعلاء كلمة الله في الأرض ، وإقامة الحق والعدل بين الناس وجعل الحاكمية لله وحده.ولهذا لا يكاد يذكر القتال أو الجهاد إلا مقرونا بسبيل الله تفريقا بينه وبين القتال من أجل الثارات والأطماع الدنيوية وحب السيطرة والاستعباد ، فالإسلام لا يريد من القتال إبادة الحرث والنسل ونشر الخراب والدمار . بل إن من أهداف الإسلام إسعاد البشرية وهدايتها ،ونشر الأمن والرخاء فوق ربوعها ، وهو لا يلجأ للقتال إلا عند الضرور. هذا هو الغرض الأساسي والوحيد في ضوء ما نجد في تعريف الجهاد في سبيل الله من القرآن والسنة وعند الراسخون في العلم . قيل في تعريف الجهاد "وهو في الاصطلاح: قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله ..."[12]

المسلم لا يتمنى الحرب ولا يحرص عليها لذاتها، بل يتمنى السلام والعافية كما وصى نبي الله ﷺ " أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ"[13] وهو أيضا يكره الحرب، وينفر منها، ويحرص على أن يتفاداها ما استطاع، وإذا وقعت حاول أن يضيِّق دائرتها، وأن يقلِّل خسائرها، ويخفِّف من آثارها، ما وجد إلى ذلك سبيلا.

ومن أهداف القتال التي نص عليها القرآن هي منع الفتنة في الدين، وهذا ما صرح به القرآن الكريم في آيتين من كتاب الله، إحداهما في سورة البقرة في قوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (البقرة٢ :١٩٣). والثانية في سورة الأنفال في قوله تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (الأنفال٨:٣٩). فقد حددت الآيتان كلتاهما غاية القتال بأنها: منع الفتنة: (حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ)، وهذه نكرة في سياق النفي تعم كل فتنة يمكن أن تتصور هنا: فتنة الإنسان في نفسه، أو في أهله، أو فيمن يحب من الناس.

وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة ، مسندين ظهورهم إلى ركن شديد. مقتنعي الوجدان بأنهم يخوضون معركة للّه ، ليس لأنفسهم منها نصيب ، ولا لذواتهم منها حظ. وليست لقومهم ، ولا لجنسهم ، ولا لقرابتهم وعشيرتهم منها شيء .. إنما هي للّه وحده ، ولمنهجه وشريعته .

العصر الحاضر يشبه هنا أيضا بالعصر الجاهلي في هذا الغرض الحربي بل يرى أشد حريصا عليه من البشر الجاهلي بالطرق التي أرهب و أخوف و أدنى من العصر الجاهلي . و نجد الإسلام فريد و نبيل في هذا المقصد القتالي وفي أسلوب الحصول لهذا الغرض .

٣– العصبية الدينية :

إن ننظر في العصر الجاهلي أو العصر قبل الإسلام، ورد في قصة الغلام عبد الله بن التامر و ملك ذو نواس اسمه يوسف بن شرحبيل انه "فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب ، فجيء به ، فقال له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فأمر به فوضع المنشار على رأسه فشق بنصفين ، ثم قال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى ، فأرسله إلى جبل فقال : اللهم اكفنيهم ! فرجف بهم الجبل وهلكوا .

ورجع الغلام إلى الملك ، فسأله عن أصحابه ، فقال : كفانيهم الله . فغاظه ذلك وأرسله في سفينة إلى البحر ليلقوه فيه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم ! فغرقوا ونجا ، وجاء إلى الملك فقال : اقتلوه بالسيف ، فضربوه فنبا عنه . وفشا خبره في اليمن ، فأعظمه الناس وعلموا أنه على الحق ، فقال الغلام للملك : إنك لن تقدر على قتلي إلا أن تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول : بسم الله رب الغلام . ففعل ذلك فقتله . فقال الناس : آمنا برب الغلام ! فقيل للملك : قد نزل بك ما تحذر . فأغلق أبواب المدينة وخد أخدودا وملأه نارا وعرض الناس ، فمن رجع عن دينه تركه ، ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فأحرقه .[14]

و كان عام ٥٢٩م هام فقط لغارة وحشية من سراسين المنذر،صاحب حراء، الذين عصفت سوريا يصل إلى أنطاكية، والتي التضحية من ٤٠٠ الراهبات للإلهة آل العزى الدموي، وكوكب الزهرة، يجب أن يكون باعث تشويق الرعب في جميع أنحاء العالم المسيحي.[15]

وكان قد اعتقل مع العديد من زملائه. وأعدم مارس شمعون وخمسة أساقفة ومائة الكهنة في سوسة، يوم الجمعة العظيمة في سنة ٣٣٩ م بالعاصمة القديمة لنسيان عيلام. واستمر اضطهاد هكذا بمبادرة من مجازر وتدمير الكنائس لسنوات أربعين بالكامل والرهبان والراهبات وخصوصا التعرض للاضطهاد الذي لا يرحم، لأنها انتهكت بشكل واضح المبادئ العاقلة من الزرادشتية.[16]

إن أكبر دولة في عصرنا الراهن تتشدق بالحرية، ومنها حرية التدين، قد تلجأ إلى التدخل في تلك الحرية بالتقييد والحظر، بقوة السلاح، لمصلحة تراهاأعني بهذا الكلام الولايات المتحدة الأمريكية فقد فاء في كتاب 'يوميات هيروشيما' ما نصه ' وكان من بين التطورات التي أدخلها الأمريكيون إلى اليابان بعد الهزيمة إجبار الإمبراطور على إعلان أنه لا ينحدر من سلالة الآلهة، وأنه ليس سوى بشر مثل بقية الناس، لا يجب أن يعبد، فألغيت عبادة الإمبراطور بصفة نهائية في عام ١٩٤٦م .

و الحرب التي تشن على الإسلام و المسلمين في كل قارات الأرض يمكن اعتبارها حربا عالمية ضد الدول و الأقليات الإسلامية ، لأنها تشتمل على كل الأبعاد العسكرية و الإعلامية و الاقتصادية و الاستراتيجية ، حرب قائمة عللى مقاصد شريرة، وغالبها ضد أقليات إسلامية لا يمثل وجودها أي تهديد أمني، ولا يعرف عنهم انتهاج العنف ضد البلاد التي ينتمون إليها ، بل يراعون في تعاملهم مع الآخرين خلق التسامح، المنبثق من منهج العقيدة الإسلامية . فعلى الصعيد العسكري تقوم حرب إبادة و استئصال ضد الأقليات المسلمة في كل من البوسنة والهرسك، و في الشيشان، وكشمير ، والفلبين ، و في تركستان، وفلسطين .

أما في الشيشان نوفد تصرح المندووب الأروبي لوكالات الأنباء العالمية بعد أن قام بجولة في مدينة جروزني حيث قال:

" كنت اعتقد أن البشرية قد تعلمت من أحداث الحرب العالمية الثانية ، و خرجت بدروس تمنعها من الوصول إلى هذا المستوى في الانحدار الأخلاقي في عصر التنوير، و حقوق الإنسان و الحرية، و المعاهدات الدولية التي أبرمتها دول العالم في أعقاب الحربين الكونيتين الأولى والثانية ."[17]

إني أراه صادقا في القول بعد رؤية الأمثلة أن البشرية ما تعلمت الإنسانية و الحضارة حتى في هذا القرن الواحد والعشرين، و يُرى أن العصر الحاضر قد تقدم تقدما بفارق كبير في الجهالة من العصر الجاهلي حسب التعصب الدينى على الرغم من الشعارات المجوفة بصوت عال للاعتدال و التسامح الديني في النواحي الاربعة . و قد حققت، هذا القول، حالة المسلمين في بورما و فلسطين و كشمير و في بعض البلاد الأفريقية بأيدى اليهود و النصارى و الكفار الاخرى .

فالحكم في الإسلام أن فمن لم يؤمن بالإسلام من أهل الكتاب ، فرض الله على المسلمين قتاله ، حتى يعطي الجزية عن يد مقهورة مغلوبة ، وهو خاضع صاغر .

وقال السعدي : " هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من (الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ) إيمانا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم. ولا يحرمون ما حرم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، (وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) أي لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه اللّه أصلا وإما دين منسوخ قد شرعه اللّه، ثم غيره بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز.[18]

إنهم لا يكرهون على اعتناق الإسلام عقيدة. فالقاعدة الإسلامية المحكمة هي (لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ). ولكنهم لا يتركون على دينهم إلا إذا أعطوا الجزية ، وقام بينهم وبين المجتمع المسلم عهد على هذا الأساس. و هذا لكى لا يطمئنوا على الكفر و غير الحق و على سبيل الجحيم، بل لأن يشعروا القلق في صغارهم و ذلتهم، و أن يرغبوا في تعزيزهم و نهوضهم على المستوى العليا و أن يقدموا الى الأسلام الذي هو دين الحق و سبيل واحد إلى الجنة و النجاة للإنسان الى يوم القيامة .

فالإسلام على التعصب في الدين لصالح الإنسان لأنه دين الحق فلا يسمح أن يعيشون الناس على غير الحق و الضلال . و لكن لا يكره الناس على اعتناقه بل يجبرهم على حياة تحت لواء الإسلام لكى يتعرفه و يذيق حلاوته ثم يعتنقه أخيرا عن طيب خاطره .

٤– أخذ الثأر لجريمة القوم:

كانت عاطفة الثأر من أهم الدوافع الحربية في العصر الجاهلي و حافز قوى التي لون تاريخ العرب بالدم . كان العرب يزعمون '' أنه اذا قتل قتيل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة. وهي الهامة، والذكر الصدى، فيصيح على قبره اسقوني اسقوني، فإن قتل قاتله كف عن صياحه''[19]

والأصل في القتل: القِصَاص وقتل القاتل بدل القتيل, فيطالب أهل المقتول بالقَوَد وهو قتل النفس بالنفس, وقد ورد ذكره في الحديث، إذ جاء: "من قتل عمدًا، فهو قود" . وإذا لم يتم القود، أو لم يحدث التراضي على الدية، أو إذا فر القاتل، فلا بد من الأخذ بالثأر, ولا يستقر لأهل القتيل قرار إلا بعد الأخذ بثأر القتيل. وقد يتركون الخمر والطيبات ولا يقربون النساء طيلة طلبهم للثأر. وقد يلبسون ألبسة الحزن ويجزُّون شعورهم، ولا يأكلون لحمًا،ولا يميلون إلى ضحك ولا سماع دعابة ولا إلى الاستراحة، حتى ينالوا منالهم من الأخذ بثأر القتيل, كالذي روي في قصة طلب امرئ القيس الكندي ثأر أبيه من بني أسد, وقد آلى على نفسه ألا يمس رأسه غسل ولا يشرب خمرًا حتى يثأر بأبيه. فلما ظفر ببني أسد قتلته و أدرك ثأره حل له ما حرم على نفس.وكالذي روي في قصة طلب قيس بن الخطيم ثأرأبيه, أو عن"يوم الأقطانيين"،إذ أقسموا ألايغسلوا أجسامهم حتى يأخذوا بثأرهم."[20]

و من العصر الحاضر نقدم بعض الأمثلة في هذا المجال فالأول منها هي من تاريخ فرنسا إذا "ذاقت فرنسا مرارة الإحساس بالهزيمة بعد الحرب السبعينية وقاست الكثير باقتطاع إقليمي الألزاس واللورين وضمهما إلى ألمانيا المنتصرة . فعاشت فرنسا ٤٤ عاما (١٨٧٠-١٩١٤) وهي تخطط للحرب وتسعى إليها لرد كرامتها القومية واستعادة أراضيها . فكانت فرنسا محركا أساسيا للأحداث في طريق الحرب يتنازعها نوعان من المشاعر الأول الرغبة في الثأر والثاني الخوف من تجدد العدوان الألماني على أراضيها ."[21]

ثم جاءت هجمات الحادي عشر من سبتمبر التي استهدفت نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر ٢٠٠١؛ فتوجهت أنظار العالم منذ الساعات الأولى للهجمات إلى أفغانستان وحركة طالبان الحاكمة هناك وأسامة بن لادن الذي تؤويه الحركة والمطلوب أمريكيا، فقد سارع مسؤولون أمريكيون إلى توجيه أصابع الاتهام إلى بن لادن وطالبان في المسؤولية عن تلك الهجمات . وبعد ٢٧ يوما من تلك الهجمات أطلقت الولايات المتحدة على أفغانستان غاراتها الجوية على أفغانستان لتعلن بدء عملياتها العسكرية ضد ما تصفه بالإرهاب.

ومن أهم أهداف القتال والحرب في الإسلام دفع الاعتداء ورده بالقوة، سواء كان هذا الاعتداء واقعا على الدين أم على الوطن والأرض الإسلامي.

فحينما ظهر النبى ﷺ برسالته ودعوة الناس إلى توحيد الله عز وجل والخروج من عبادة الأوثان إلى توحيد الرحمن ، فما كان من المشركين إلا أن ضيقوا عليه فى دعوته ، وكادوا له وتعرضوا له ولمن آمن معه بالأذى ، فعذبوهم ونكلوا بهم وقتلوهم ، وقاطعوهم بإتفاقية عقدوها بينهم بمنع التعامل معهم أو البيع والشراء منهم أو نكاحهم ، وحاصروهم فى شعب بنى طالب ثلاث سنوات بلا زاد. فأى عداوة أشد من ذلك ، وأى سبب أقوى من هذا الظلم الذى وقع عليهم حتى يأذن الله لهم بأن يقاتلوا من أخرجوهم من ديارهم وأموالهم وعذبوهم ، فأعلنوا الحرب عليهم بإذن من الله تعالى حين قال لهم" أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ "(الحج٤٠،٣٩:٢٢) .

في هذه الظروف الخطيرة التي كانت تهدد كيان المسلمين بالمدينة، وتنبئ عن قريش أنهم لا يفيقون عن غيهم ولا يمتنعون عن تمردهم بحال، أنزل الله تعالى الأمر بالقتال "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ " (البقرة ٢:١٩٠-١٩٣) والملاحَظُ أن الأمر بالقتال هنا إنما جاء لمحاربة مَنْ بدأ بالقتال فقط، دون المسالم، وجاء التأكيد الشديد على ذلك المعنى بقول الله تعالى: (وَلاَ تَعْتَدُوا)، ثم التحذير للمؤمنين: (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)، فالله لا يُحِبُّ الاعتداء، ولو كان على غير المسلمين، وفي هذا تحجيم كبير لاستمرار القتال، وهذا فيه من الرحمة بالإنسانية جميعًا ما فيه.

ردود الفعل التي عرضت أمريكة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر تظهر كيفية الذهنية البشرية في القرن الراهن حسب عاطفة الثأر . قد ارتكبت أمريكة أبادة جماعية في صورة القصف السجادي في أفغانستان و عراق تحت مزاعم وهمية . هل تثقف الإنسان في هذه العاطفة؟ لا بل توضح المثال أن بشر العهد الجديد كثر في الخطورة من البشر الجاهلي في عاطفة الثأر . و نجد مؤقف الإسلام فطري و متعادل في هذا الغرض الحربي .

٥- القضاء على الخطر المحتمل:

و يتجلى هذا الدافع في العصر قبل الإسلام من قصة" الحرب التي اشعلتها روما ضد فيليبس ملك مكدونية وذلك ان روما قد تعلمت درسا من جراء حروبها الطويلة مع قرطاجة التي دامت ١٢٠ سنة وهو الا تسمح لقوة تطل على حوض المتوسط بان تشكل خطرا عليها، ولهذا، لما علمت ان فيليبس ملك مكدونية قد اتفق مع انطيوخس الثالث السلوقى ملم آسيا على اقتسام املاك مصر، تراءى لها الخطر المقبل مع تعاظم قوة مكدونية المجاورة، ومن هنا، فقد قررت روما سحق فيليبس قبل ان يقوى وهكذا كان . . . وضمت مكدونية الى الدولة الرومانية ."[22]

و كان ذلك أيضا حين كان يشعل قوم الحرب على آخرين، لمجرد اثبات القوة، وردع الخصوم عن التفكير في الاعتداء عليهم، وتلك كانت هى الحال في الجاهلية في جزيرة العرب، لان طبيعة الحياة آنئذ كانت تقسم الناس فئتين اما ظالمة معتدية، واما مظلومة معتدى عليها . ويعبر عن طبيعة الحياة هذه زهير بن ابى سلمى في قوله من قصيدته المشهورة:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم

ويصورها ايضا قول النابغة الذبيانى :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له و تتقى صولة المستاسد الضارى[23]

و أما في الإسلام قد أمر الله تعالى " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّاللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ."(الانفال٨:٦٠) لقدسلط اللّه النبيّ والمسلمين على هذا العدوّ المتربّص بهم ، الكائد لهم ، وأمرهم بأن يضربوهم الضربة القاضية التي تأنى عليهم ، وتكون مثلا وعبرة لغيرهم.

ومن هنا أتبع القرآن الكريم الأمر بتأديب العدوّ وبسط اليد عليه . أتبع ذلك بالأمر باتخاذ الوسائل المحققة لهذا الأمر ، وذلك بالأخذ بكل أسباب القوة ، التي ترجح بها كفة المسلمين فى ميادين القتال ، ومصادمة العدوّ. وفى قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) ، أمر باتخاذ القوة ، والعمل على بنائها ، والتوسل إليها بوسائلها ، ومن أهم تلك الوسائل (الخيل).

و قد روي عن "سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الأَحْزَابُ عَنْهُ الآنَ نَغْزُوهُمْ ، وَلاَ يَغْزُونَنَا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ."[24] المراد عنه أن من بعد الآن لا ننتظر لعدوانهم علينا بل سوف نقوم بمطاردتهم أينما نجد التهديد العدوان ضد الإسلام.

وهذا يعنى كذلك أن الإعداد للحرب ليس لإشباع شهوة الحرب ، وإنما هو لإرهاب العدوّ أولا ، حتى ينزجر ، ولا تحدّثه نفسه بالحرب حين يرى القوّة الراصدة له. ومن هنا يرى أن الإسلام دين سلام ، يعدّ للحرب، حتى تجتمع له القوة الممكنة له من النصر والغلب ، ولكنه لا يبدأ الحرب ، ولا يسعى إليها ، وإنما يجيء إليها مكرها ، ويدخل فيها مدافعا ، لا مهاجما .

و أما عصرنا الراهن لم تكتف الولايات المتحدة بالحديث عن " اطر عامة " لإستراتيجيتها الكونية الجديدة التي بدأت تكتسب معالم أكثر وضوحا بعد احداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بل انها على ما يبدو عازمة على مواصلة جهودها لبلورة قواعد محددة لعقيدتها العسكرية الجديدة تنص على الحق في توجيه الضربة الاولى الى الدول التي تملك اسلحة دمار شامل.

و اوضح باول في لقاء ان الاستراتيجية الجديدة لادارة الرئيس جورج بوش القائمة على توجيه ضربات وقائية الى ارهابيين ومنظمات ارهابية ودول معادية للولايات المتحدة . وتأكد فيه كولين باول وزير الخارجية الأمريكية(السابق), ان احتمالات الهجوم الوقائي علي ايران مازال واردا, بسبب اصرار طهران علي الاستمرار في خططها النووية, وقال إن واشنطن تري أنه لازال ممكنا التوصل الي حل سياسي لهذه المشكلة, لكن الرئيس الأمريكي جورج بوش يري أن السماح لإيران بالتزود بأسلحة نووية أمر غير مسئول من قبل المجتمع الدولي, ومن جانبه, صرح وزير الدفاع دونالد رامسفيلد بأن مسألة الهجوم الوقائي علي ايران في يد بوش والكونجرس, لكنه شخصيا يعتقد أنه يجب تنفيذ ذلك كما حدث في أفغانستان."[25]

فالظاهر أن هذه العقيدة العسكرية توجد عند جميع العصور بإختلاف قليل . ولكن استعمال لهذه النظرية كان في الجاهلية و العصر الحاضر لعدوان على الأعداء ولتحقيق الأهداف السياسية والإقتصادية، الاستغلالية . وفي الإسلام قد جاء الامر الالهي بالاعداد المادي للقتال ،مبينا المقومات العملية التي تحقق هدف هذا الاعداد في تخويف العدو الظاهر ومنعه من العدوان ورعاية على الحق .

٦- التفاخر و العصبية القومية:

قد تحقق من مطالعة ايام العرب أن أيما الحروب الداهشة التي وقعت في العصر الجاهلى كانت نتيجة هذه عاطفة التفاخر كثيرا . حرب البسوس المعروفة التي استمرت حتى اربعين عاما بين بنى تغلب و بنى بكر بن وائل، وقعت على هذا فقط أن ناقة ضيف بنى بكر بن وائل دخلت في مرعى لكليب بن ربيعة سيد بنى تغلب .[26]

و حرب السباق هى ايضا مثل آخر في التفاخر القومى . ورد في الكتاب " العرب في العصر الجاهلى " جرت أحداثها بين عبس و ذبيان، و هما من جد واحد، هو غطفان . و سببها رهان على حصان و فرس، داحس و الغبراء و كان الرهان بين قيس بن زهير (مات بعد ٦٣١م) سيد عبس الذي ران على داحس، و بين حذيفة بن بدر سيد ذبيان الذي راهن على الغبراء .[27] و سلسلة الحروب المعروفة بين الاوس و الخزرج التي استمرت الى قرن ، بدأت من حادث صغير في التفاخر والتنافر.[28]

و في الماضي القريب في العصر الحاضر نشأت القوميّة في القرن التّاسع عشر بين الشعوب التي تشترك في نفس اللغة، وتاريخٍ أو ثقافةٍ واحدة، ممّا أدّى إلى تأسيس دولتين نتيجةً لتوحّد عدّة دويلات صغيرة على المبادئ القوميّة، وهما: (ألمانيا وإيطاليا).

قامت الدّول القوميّة بإضعاف الإمبراطوريّات في الجهة الشرقيّة من النّمسا (المجر وروسيا والدّولة العثمانيّة)، وكانت هذه الامبراطوريات تحكم مجموعات عرقيّةٍ، ودول كثيرة تناضل من أجل الاستقلال، وكانت الصّراعات بين المجموعات القوميّة متفجّرةً في دول شبه جزيرة البلقان في الجنوب الشرقيّ من أوروبا، وعُرفت شبه الجزيرة بأنّها برميل البارود في أوروبا؛ لأنّ شعوباً كثيرة من البلقانيين كانوا جزءًا من الدّولة العثمانيّة.[29]

عند اندلاع النزاع المسلح بين الحكومة التي يغلب عليها البوسنيون في سراييفو وجمهورية كروات البوسنة، كان حوالي ٧٠٪ من أراضي البوسنة تحت سيطرة جمهورية صرب البوسنة. فالانتهاكات التي ترتكب ضد السكان من غير الصرب من تطهير عرقي وضياع الحقوق المدنية كانت متفشية في تلك المناطق[30]

أما الإسلام فقد حرص كل الحرص على تقرير "المساواة بين الناس"في القيمة البشرية وقال الله عز و جل " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"(الحجرات١٣:٤٩) . الإسلام لا يقبل الإمتياز بين الناس على أساس اللون والنسل والنسب لأنهم أولاد أب واحد و هو آدم عليه السلام الا بالتقوى . و قال النبي ﷺ أيضا خطبته في وسط أيام التشريق فقال" يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ."[31]

أهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب ،و من في حكمهم ،الذين يقيمون بدولة الإسلام ،و قد سموا بذلك ، لأن لهم حقوقا قبل المسلمين ،فعقد الذمة، يمنحهم عهدا بإباحة إقامتهم على التأبيد في دولة الإسلام ، كما يمنحهم الأمان على دمائهم و أموالهم و أعراضهم ، أي حمايتهم من العدوان الخارجي ، أو التعدي الداخلي . يستطيع الذمي أن يتقلد الوظيفة في الدولة الإسلامية إذا كانت من وظائف السلطة

التنفيذية، كالمحاسب العام أو المهندس الأعلى أو ناظر البريد، أو فوقه. وتولية أهل الذمة المناصب الحكومية الإسلامية ، دليل واضح على المساواة في الإسلام ، والتزام المسلمين بتطبيقها .

فإن كانت العلاقات الدولية الوضعية، في القديم والحديث، تقوم على الأنانية وحب الذات والمصلحة الخاصة ، ولا تقيم وزنا للقيم الأخلاقية ولا المبادئ الإنسانية ولا المعاهدات والمواثيق الدولية . و مؤقف في الإسلام واضح و جلي في التفاخر و العصبية القومية بعد تقديم البراهين القاطعة المذكورة أعلاه .

٧– الرغبةُ في التخلص والتحرير من الاحتلال الأجنبي :

مكانة هذا الدافع الحربي كانت مسلمة في العصر قبل الإسلام كما تظهر من الأمثلة الأتية و هي أن قد وقع لهذا السبب الصراع الدموى بين فارس واليونان في القرن الخمامس قبل الميلاد . "فقد استطاع الفرس احتلال كثير من بلاد اليونان، فتالفت جيوش اليونان من اثينا واسبرطة وسائر الحلفاء، وخاضت مع جيش الفرس عدة حروب لتحرير البلاد، الى ان تحقق هذا التحرير وانهزم الفرس متقهقرين، وتعقبهم اليونان حتى الدردنيل ." [32]

كالحرب التي قامت بين ربيعةَ واليمن، وكانت ربيعة تهدف إلى التحرر من طاعة اليمن. ففي يوم خزاز" توحدت كلّمة الشماليين ، وكانت مظهراً من مظاهر الاتجاه الشعوري في أمة هاجتها الأحداث إلى الحدطلب وحدة كبرى لمقاومة شرّ أحاط بها .

و أما عهدنا الجديد في عام ١٨٣٩ كانت بريطانيا تحتل الهند، وكانت تعتبرها (درة التاج البريطاني)، ولذلك كانت تخاف عليها من أطماع الروس الذين تمددوا في العصر القيصري باتجاه آسيا الوسطى. وكانت أفغانستان بموقعها الطبيعي تشكل البوابة الطبيعية لوصول الروس إلى الهند. ولذلك قررت بريطانيا احتلال أفغانستان لتحويلها إلى خندق أمامي دفاعاً عن درة تاجها.

ولكن الاحتلال البريطاني لأفغانستان ما كان ليدوم إلى الأبد، فقد ثارت القبائل الأفغانية ضده،حتى اضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب في عام ١٨٤٢.وكان الانسحاب مذلاً.وشمل ٧٠٠جندي بريطاني و٣٨٠٠ جندي هندي و١٤ ألف مدني.وانتهت تلك الحرب ليس فقط بانسحاب القوات البريطانية، بل باستعادة دوست محمد للسلطة في كابول.

والحرب السوفيتية في أفغانستان أو التدخل السوفيتي في أفغانستان هو اسم يطلق على حرب دامت عشرة سنوات . فأدخل السوفييت الجيش الأربعين في ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩. فانسحبت القوات السوفييتية من البلاد بين ١٥ مايو ١٩٨٨ و٢ فبراير ١٩٨٩. وأعلن الاتحاد السوفيتي انسحاب كافّة قواته بشكل رسمي من أفغانستان في ١٥ فبراير ١٩٨٩.

و هناك قصص اخرى في هذا النوع الحربي وهي الحرب في أفغانستان ضد الأمريكة حركة الحرية كشمير وفلسطين خلاف الإحتلال الهندي والصيهوني . ومن أهداف القتال في الإسلام، إنقاذ المستضعفين من خلق الله، من ظلم الجبارين، وتسلط المستكبرين في الأرض بغير الحق، الذين يستخفون بحرمات الضعفاء،

ويسومونهم سوء العذاب، ويهدرون إنسانيتهم، لأن في أيديهم القوة المادية التي تمنع الأيدي أن تدافع، وتخرس الألسنة أن تتكلم، وتكره الناس على أن يسكتوا عن الحق أو ينطقوا بالباطل.

فعلى المسلمين واجب النجدة لتحرير هؤلاء المستعبدين، وإغاثة هؤلاء الملهوفين، وإنقاذ هؤلاء المستضعفين من المسلمين. يقول تعالى "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً * وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً" (النساء٤ :٧٤،٧٥).[33]

أول أهداف القتال والحرب في الإسلام دفع الاعتداء ورده بالقوة، سواء كان هذا الاعتداء واقعا على الدين أم على الوطن والأرض الإسلامي. وكذلك الاعتداء على حرمات الأفراد، في أنفسهم، أو في أموالهم وممتلكاتهم، أو في أهليهم وذراريهم. كما يعتبر الإسلام الاعتداء على أهل الذمة من غير المسلمين اعتداء على المسلمين أنفسهم،فهم من أهل دار الإسلام، وحرمتهم من حرمة المسلمين. وعقد الذمة يوجب على المسلمين الدفاع عنهم، وبذل الأنفس والأموال لحمايتهم، كما يدافعون عن المسلمين،سواء بسواء[34].

لقد درسنا أن الرغبة في السيطرة و الإحتلال على بلاد أخرى، بالنية النبيلة أو الشنيعة، توجد في جميع ثلاثة عصور. فوجود الدافع الحربي "الرغبةُ في التخلص والتحرير من الاحتلال الأجنبي" لازمي و حتمي ما كانت توجد الدافع المذكور في الأول.

٨- صراع الحضارات :

ان الاختلاف بين الحضارات كان ايضا سببا للحرب. ان الناس في مجتمع اذا استمروا مدة طويلة يسيرون على نمط معين من الحياة، صار هذا النمط جزء من طبيعتهم لا يتصورون الياة بدونه، فاذا وجدوا مجتمعا آخر يعيش على غير طريقتهم حصلت نفرة طبيعية متبادلة في النفوس، فاذا حصل الاحتكاك بين هذين المجتمعين تطورت النفرة الى عداء، والعداء الى حرب، وهكذا كانت الحال بين مملكة اسرائيل في شمال فلسطين وبين مملكة يهوذا في الجنوب.

فقد كان المجتمع في الشمال على نصيب من الغنى والتقدم والصناعة والتجارة، بينما كان المجتمع في الجنوب في حال من الفقر والتاخر، والجدب في الارض، والبداوة في اسلوب العيش لكثير من الناس. و تمكنت الكراهية في نفوس الامة الواحدة لاختلاف طريقة العيش في الحياة. استحكم اختلاف طريقة العيش في الحياة بين المجتمعين، بما صاحب ذالك من اختلاف في المفاهيم الدينية التي مكنت لذلك الاختلاف في طريقة العيش ... ومن اجل ذلك اشتعلت بين المجتمعين عدة حروب."[35]

الكلمة الطيبة هي: "لا إله إلا الله" بكل ما تحمل من نور، يُخرج الله به الناس من الظلمات. وقد انبثقت من هذه الكلمة الطيبة حضارة أضاءت وجه الأرض في يوم من الأيام، لا بين معتنقيها فحسب، بل كذلك في الذين حاربوها بكل قوتها، ولكنهم لم يملكوا أنفسهم من التأثر بها والاستفادة منها. ثم ابتعدت الأمة

عن المنبع فخبا نور الحضارة التي أضاءت وجه الأرض ذات يوم، فملأ مكانها حسب سنة التداول حضارة جاهلية، تقدمت في بعض جوانب الحياة تقدماً هائلاً، لكنها انتكست في الجوانب الأخرى انتكاساً لا مثيل له في التاريخ!. وتلك الحضارة الجاهلية هي التي تريد اليوم أن تملك الأرض وتتزعم العالم وتبيد غيرها من الحضارات.

غني عن البيان أن هناك حرباً ضارية مشبوهة ضد الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر،وهي حرب صليبية صهيونية مهما حاول أهلها أن يخفوا وجهها القبيح تحت مختلف اللافتات والعناوين،ومهما حاول الإعلام العربي المنقول نقلاً حرفياً عن الإعلام الغربي،أن يجاري الغرب في إخفاء الوجه القبيح لهذه الحرب.لقد خططت أوربا الصليبية للقضاء على الدولة العثمانية طيلة مائتي عام،وأفلحت في النهاية في القضاء عليها بعد جهاد طويل.وكان في تفكيرهم وتقديرهم البشري أنهم إذا قضوا على الدولة العثمانية فإنهم يقضون على الإسلام كذلك.إن الانفجارات الكبرى في التاريخ قد حدثت كلها حين استوى عند الناس الموت والحياة. والصليبية الصهيونية تدفع المسلمين بحماقة إلى النقطة الحرجة التي يستوي فيها الموت والحياة.خذ هذه الأمثلة السريعة من الواقع القريب:

حماقة الصرب في بلاد البوسنة والهرسك، ووقوف العالم الصليبي كله ساكناً يتفرج، ومئات الألوف يبادون إبادة جماعية ويُعذبون ويُحرقون ويُعتدى على نسائهم ويقتل أطفالهم أمام أعينهم، في الوقت الذي يمنع عن البوسنويين كل سلاح لكي لا يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، ولا وقف المجازر التي تحل بهم، واستمرار ذلك لا أياماً ولا أسابيع ولا شهوراً، بل سنوات.

وحماقة إسرائيل في فلسطين في القتل الجماعي، وهدم البيوت على أصحابها، وطرد أهلها منها، وتدنيس المقدسات، وأمريكا واقفة تساند الجرائم كلها التي ترتكبها إسرائيل وتدافع عنها، وتمدها بالمال والسلاح بغير حساب، وتعينها على إنتاج أسلحة الدمار الشامل بينما تشن الغارة على أماكن في العالم الإسلامي بحجة الاشتباه في إنتاج مواد يمكن أن تساعد في إنتاج أسلحة لا توازي في خطرها عُشر معشار ما تملكه إسرائيل.

ووقوف الصليبية الصهيونية مع حماقة الهند في هدم المساجد وإقامة الأوثان بدلاً منها، وتقتيل المسلمين في كشمير، والإغارة على القرى المسلمة وإشعال النار على أهلها أحياء، فإذا فروا من النيران قبضت عليهم بتهمة التخريب وزجت بهم في السجون لتعذبهم.وحماقة الصليبية الصهيونية اليوم في وقوفها مع النظام النصيري في سوريا، وهو يتفرج على هذه البراميل التي يسقطها النظام يومياً على مساكن الآلاف من الأسر والعوائل العزّل، ويموت يومياً المئات والعالم لا يحرك ساكناً.

وعشرات من الحماقات ومئات ترتكبها الصليبية الصهيونية يومياً، سواء فيما يسمى المحافل الدولية حين تعرض قضية تمس المسلمين أو في العمل على تدمير اقتصاديات المسلمين وإذلالهم وسلب أقواتهم وتحويلهم عبيداً خاضعين للغرب. [36]

كان باعث السري خلف هجوم الأمريكة علي أفغانستان في ٢٠٠١ هي كانت إستئصال حضارة الإسلامية التي كانت تنموا تحت الأمارة الإسلامية . و لهذه جعلت أوروبا شعائر الإسلام كالحجاب واللحية

هدف التنقيد والتعزير لأنهم لا يجدون ظرفا أن يغمضوا عن شعائر الحضارة الإسلامية في مناطقهم حذرا عن أشاعتها، يسعون و ينفقون كثير لترويج و تسليط حضارتهم الغربية في جميع أنحاء العالم .

لقد توجد هذا سبب الحرب في جميع العهود الزمني . ولكن الحضارات التي سعت للسيطرة قبل الإسلام و التي تسعى في العصر الحاضر، ناقصات في الأصل لأنها بنيت على فكر و علم الإنساني . و هي باعثة الإنشار و الدمار في المجتمع الأنساني . و بينما الحضارة الإسلامية مبنية على الهدى و الحكمة الإلهامية من قبل خالق الإنسان الذي علمه و حكمته كاملة و عالية، هي وسيلة الأمن و السلامة، العدل و الديانة، الفلاح و النجاة في الدنيا و الآخرة حسب شهادة التاريخ الإنساني .

٩– الاكراه على الدخول في الاحلاف :

في العصر قبل الإسلام قد وجدنا هذا السبب في تاريخ الحرب اليونانى . قيل " بعد عهد الاسكندر المكدونى حين قام تحالف بين الولايات الصغيرة اليونانية سعيا لتقوية نفسها امام خصومها، وجبرا لضعف كل منها على حدة، وكان هذا التحالف اشبه بحلف عسكرى، يقوم على راسه قائد سنوى يعهد اليه برئاسة الجيش، ويعهد الى عدة ضباط بالنظر في الامور الدفاعية، والعلاقات الخارجية .

وحدث ان ابت حكومة اسبرطة النضمام الى هذا التحالف، فاعلن الحلفاء الحرب عليها لاجبارها على الانضمام لهذا الحلف،وكسبت اسبرطة هذه الحرب،فاستعان الحلفاء عليها بمكدونية فانهزمت اسبرطة وفقدت استقلالها، وصارت من الدول التابعة ."[37]

ومن العصر الحاضر قد ورد في هذا السبب القتالي في جريدة "عرب نيوز" كما ياتى، "الخبر، ١٨ يوليو ٢٠٠٦ – النفط وايران والقواعد الجوية، ويبدو أن القضايا في الآونة الأخيرة. لا حقا. وكان نحو ٥٥ سنوات الى الوراء أن هذه القضايا كانت إلى حد كبير في اللعب وتشير وثيقة رفعت عنها السرية مؤخرا أن هذه هي الأسباب وراء اغتيال لياقت علي خان، أول رئيس وزراء باكستان يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥١. . . وبينما كانت المملكة المتحدة تضغط على باكستان للحصول على دعم بشأن قضية إيران، طلبت الولايات المتحدة باكستان استخدام نفوذها في طهران واقناعها نقل السيطرة على حقولها النفطية إلى الولايات المتحدة.

وفقا لهذا المضمون رفض لياقت علي خان إلى الموافقة على الطلب. ثم هددت الولايات المتحدة إلى إلغاء اتفاق سري حول كشمير (بين باكستان والولايات المتحدة). أجاب لياقت أن باكستان قد ضمتها نصف كشمير دون الدعم الأميركي، وسوف تكون قادرة على اتخاذ النصف الآخر أيضا . ليس ذلك فحسب، طالب رئيس الوزراء لياقت علي خان أيضا أن الولايات المتحدة إخلاء القواعد الجوية في باكستان. وقع ذالك الطلب من لياقت علي خان كقنبلة لواشنطن . ثم لخص المقال أن كل هذه الحقائق تثبت أن الجاني الحقيقي وراء القتل كانت الولايات المتحدة، التي قد ارتكبت أعمال مماثلة في الشرق الأوسط أيضا.[38]

بعد ١١/٩ بدأت أمريكة الدبلوماسية من خلال مختلف المسؤولين. أولا تم التفاعل مع السفارة الباكستانية. ثم ويندي تشامبرلين، سفير الولايات المتحدة في باكستان، فاوضت مع الحكومة الباكستانية والرئيس مشرف. بعد عدة مفاوضات بين مسؤولين حكوميين اثنين ورئيس دولة، وطالب الولايات المتحدة

الأمريكية الدعم لوجستية و الاستخباراتي ومجاله الجوي. وكانت باكستان تحت ضغط المنزلي ضد الانضمام إلى التحالف. ... خاطب الرئيس بوش إلى جلسة مشتركة للكونغرس وهدد باكستان "هل أنت معنا أو انضمم إلى إرهابي؟ ولكن هذه المرة باكستان تشارك بشكل كامل في الحرب. وكانت هذه الحرب مختلفة تماما عن ١٩٥٠ الحرب بالوكالة و ١٩٧٩ الحرب السوفيتية في أفغانستان. مع المساعدات القادمة إلى باكستان تسبب الآلاف من أرواح المدنيين، التدهور العديد من المؤسسات وحتى سيادة بلدها. هذه المرة كانت توقعات باكستان لم تتحقق مثل العلاقات السابقة بين البلدين.[39]

فأما الإسلام كثيراً ما طعن من قبل أعداء الإسلام بأنه ما إنتشر إلا بالسيف المسلط على رقاب العباد من أجل نشر عقيدته.إن دولة الإسلام التى قامت فى خلال ثلاث وعشرين سنة ، مجموع من قُتِلُوا تسعة وثلاثين وأربعمائة، ليس كما يهول أعداء الإسلام من أنه انتشر بالسيف فإن لازم كلامهم أن تكون بحار من الدماء قد شقت الأرض فى زمانهم ، وهو خلاف ما ذكرناه، فلم يقم الإسلام على إبادة الشعوب كما فعل التتار والصليبيون ، بل أكرم أهل البلاد المفتوحة وأبقاهم على ما هم عليه وأحسن إليهم ، فمن إدعي خلاف ذلك فعليه بالدليل ولن يجد لما ذكرنا بديلاً .

لا يختلف عقلاء بنى آدم على أن الإكراه على شيءٍ ليس بباعثٍ على حبهِ ، بل إن ذلك سبباً فى ضده، وهو البغض لما تُكرَهُ عليه ، وبالتالي يكون التمسك والثبات على ما العقيدة ولو فى الخفاء ، فإن عقيدتك ما وقر فى قلبك عن حب وانقياد لا كره وإجبار. لكن أن يقال إن هذا الإكراه باعث على الإنتقال من دين لدين ، فهذا ما تأباه العقول القويمة ، فأى دين هذا الذى يُتَنَازَلُ عنه من أجل ما قد يتسبب التدين به من ضرر؟

يقول المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)" وكان يمكن ان تُعمى فتوح العرب الأولى أبصارهم و أن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة و يسيئوا معاملة المغلوبين و يكرهوهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره في العالم، ولو فعلوا هذا لتألبت عليهم جميع الأمم التى كانت غير خاضعة لهم بعد، ولأصابهم مثل ما اصابت الصليبين عندما دخلوا بلاد سورية موخرا، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة . فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا دينا مثل دينهم . "[40]

و يكتب أيضا"و لم يكن سلوك عمرو بن العاص بمصر أقل رفقا من ذلك فقد عرض على المصريين حرية دينية تامة و عدلا مطلقا و احتراما للأموال و جزية سنوية ثابتة لا تزيد على خمسة عشر فرنكا عن كل رأس بدلا من ضرائب قياصرة الروم الباهظة، فرضي المصريون طائعين شاكرين بهذه الشروط دافعين للجزية سلفا، و قد بالغ العرب في الوقوف عند حد هذه الشروط و التقيد بها فأحبهم المصريون الذين ذاقوا الأمرين من ظلم عمال قياصرة القسطنطينية النصارى،و أقبلوا على اعتناق دين العرب و لغتهم أيما إقبال . ونتائج مثل هذه لا تنال بالقوة كما قلت غير مرة،ولم يظفر بمثلها من ملك مصر من الفاتحين قبل العرب ."[41]

الهوامش

1 - الجهاد فى الاسلام، ص١٨٠

2 - الجهاد فى الااسلام، ص ١٨٧-١٨٩

3 - لماذا تتحارب الأمم، ص ١٧٢

4 - علي أمين، فخرية ،الحرب في شبه الجزيرة الكورية ١٩٥٠م. ١٩٥٣م، مجلة ديالي ٢٠٠٩ ، العدد ٣٨، ص ٦٤٧

5- منذر سليمان،الدكتور،الحرب في العراق خسارة إستراتيجية لأمريكا،تاريخ الإستفاد ١٠-٠٣-١٥ http://islammemo.cc/akhbar/arab/2012/04/10/147605.html

6 - صحيح البخاري، باب مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ، ج ٨ ص ١١٥

7 - الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور. تهذيب اللغة، ج ١٥ ص ٢٥٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ٢٠٠١م

8 - صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا (٢٨١٠) ٢٤/٤

9- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١/ ١٩،٢١،٢٢

10 - David L. Perry,Partly cloudy :ethics in war,espionage,covert action,and interrogation, p 98

11 - Rethinking the just war tradition, P 53,65,67

12 - إرشاد الساري لشرح صحيح بخاري، ٣١/٥

13 - صحيح البخاري، باب كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ(٢٩٦٦) ٦٢/٤

14- الكامل في التاريخ، ج ١ص٣٣٢

15 - History of Persia,Sykes,Vol.1,P.482

16 - History of Persia,Sykes,Vol.1,P.448

17 - القيم الأخلاقية في الصراع الحضاري بين الإسلام و الغرب، ص ٥٢٧-٥٢٩

18 - تفسير السعدي، ٣٣٤/١

19 - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٣٩/١١

20 - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ٧ /٣٩٩، ٤٠٠

21 - الأسباب والمراحل الرئيسية للحرب(العالمية). موسوعة مقاتل من الصحراء، تاريخ الإستفاد ١٩-٠٣-١٥ http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia2/HarbAlamia/sec02.doc_cvt.htm

22 - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٢٧/١

23 – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١٦/١

24 – صحيح البخاري، بَابٌ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَهْيَ الأَحْزَابُ، ٥ / ١٤١

25 – جريدة ، الاهرام، مصر، العدد ٤٢٩٦٣ السنة ١٢٧– يوليو٢٣، ٢٠٠٤ ،٦ من جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ،تاريخ الإستفاد ٢١–٠٣–١٥، http://www.ahram.org.eg/Archive/2004/7/23/WORL3.HTM

26 – عقد الفريد ، ٦ / ٦٩–٧٧

27 – العرب في العصر الجاهلى، ص ١٠٤

28 – أيام العرب في الجاهلية، ص ٦٤

29 – شيراز حرزالله ، أسباب الحرب العالمية الأولى . تاريخ الإستفاد ٢٤–٠٤–١٤، أسباب الحرب العالمية الأولى /http://mawdoo3.com

30 – البوسنة_والهرسك /http://ar.wikipedia.org/wiki، Retrieved on 28-03-15

31 – مسند أحمد باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم ٤١١/٥

32 – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١/ ٢٤،٢٥

33 – تفسير السعدي، ١٨٧/١

34 – غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص ٩،١٠

35 – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٢٣،٢٤/١

36 –الأحمد، د . ناصر بن محمد، صراع الحضارات ، تاريخ الإستفاد ١–٤–١٥، http://ar.islamway.net/lesson/158797/صراع–الحضارات

37 – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٢٦/١

38 – سيد راشد حسين، الوثائق السرية ألقت الضوء على دور الولايات المتحدة في جريمة قتل لياقت(باللغة الإنجليزية)، تاريخ الإستفاد ١٧–٠٤–١٥، http://www.arabnews.com/node/287940

39 – شهناز اختر، ديناميات الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان العلاقات في فترة ما بعد ١١/٩: حواجز و آفاق المستقبل (باللغة الإنجليزية)، تاريخ الإستفاد١٨–٠٤–١٥ ، http://www.ijhssnet.com/journals/Vol_2_No_11_June_2012/23.pdf ,Page 207

40 – حضارة العرب، ص ٦٠٥

41 – حضارة العرب، ص ١٣٥